

صورة الرجل في رواية "رجالي" لمليكة مقدم

The image of the man in the novel "My Men" by Malika Moghaddam

عبد المجيد بلخوص *

تاريخ النشر: 2024/12/20	تاريخ القبول: 2023/10/05	تاريخ الإرسال: 2023/06/28
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في خطاب المرأة الكاتبة، تلك التي اتخذت الرواية أداة تخاطب عبرها العالم من حولها، وهو العالم الذي تربطها به علاقة مربكة لأنها تشغل هامشه. أدركت المرأة واجب قول الكثير من الأشياء بغرض تعرية الواقع، نجد في مقدمتها موقفها من الرجل، أو صورة الرجل كما تراها هي. وقد اتخذنا من رواية "رجالي" لمليكة مقدم نموذجاً للدراسة، إذ سارت بنا القراءة المتأنية إلى تتبع صور عدد من الرجال، تأتت بهم مسارها الطويل منذ كانت طفلة، فهي رغم تعدد علاقاتها مع الرجال، إلا أن صورة هذا الأخير لا غير مكتشفة، وكأن مليكة تريد أن تُسند بحثها إلى قلم نسوي آخر لإكمال المسيرة ومواصلة النضال.

الكلمات المفتاحية: امرأة، صورة، رجل، وعي، كاتبة، رواية.

Abstract:

This study questions the discourse of the woman writer, who took the novel as a tool through which she approaches the world with which she maintains a confused relationship because she is on the margins. The woman realized very early on the duty to say many things to expose the reality, in the forefront of which comes her attitude towards the man, or the image of the man. We took the novel "My Men" by Malika Moqaddam as a model for study, since a careful reading led us to trace the images of a certain number of men, marked by her long journey since childhood. Despite her many relationships with men, the image of the latter is still unknown, as if Malika wanted to entrust her research to another feminist pen to complete the march and continue the fight.

Key words: woman, image, man, awareness, writer, novel.

*جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله madjidd6@gmail.com

*** **

1. مقدمة:

طرقت المرأة عالم الكتابة بشيء من الريبة والخوف، لكن مع مرور الزمن استطاعت أن تقارع الرجل وتتقاسم معه الريادة التي كانت إلى وقت قريب تتسع له وحده، فالرجل دون غيره هو من كان له الحق في أن يبوّح بكل شيء يريده، والبوح هنا يعني الإدلاء بكل ما هو جدير بأن يصدم القارئ العربي، وهو القارئ الذي يقرأ اعترافات الرجل التي لا ضير إن هي اقتربت من معين الخطيئة وكتبت عنها بعمق، لكن إن تعلق الأمر بالمرأة فالأمر مختلف، في ذلك دعوة إلى محاكمة علنية يكون فيها الرجل هو الخصم والحكم، حكّم يفعل ما بوسع له كي يُبعد المرأة عن عالم الكتابة لأن عوالم المكاشفات والبوح غير الممنته. إن هي انفتحت للمرأة. تعني الخطيئة في أكبر تجلٍ لها، وعليه فما على المرأة إلا أن تبتعد عن هذا العالم "المشبوّه" وألا تؤمن بالجمع بين المرأة والإبداع الروائي. لكن الذي حدث في الإنتاج الروائي هو العكس، فهي نافذة البوح والمكاشفة تتسع شيئاً فشيئاً، لتكتب المرأة الصفحات الكثيرة، حاملة إحساس السخط والحنق على عالم أراده الرجل له وحده، فكانت النتيجة أن خرجت المرأة الكاتبة من رحم القمع والذكورة وراحت تكتب في العديد من المجالات، في الرواية، الشعر، البحوث العلمية وسائر ألوان الإبداع الأخرى، أول الأمر امتزجت مساعيها بالخوف والوجل، لكن فيما بعد تنامى الإبداع النسائي على أرضية صلبة وظهرت العديد من الأسماء التي أسست لحركية نسوية فعّالة، أثرتها أسماء أخرى جاءت بعدها، وقد رافق ذلك جهد نقدي مسؤول أشاد بالتجربة في العالم العربي وأعطاهما ما تستحق من الدراسة والمساءلة الجادتين.

2. المرأة وسؤال الإبداع الروائي:

يجمع الدارسون على أن المغامرة التي بدّتها المرأة في عالم الكتابة، إنما هي رهان جدير بالدراسة الجادة التي تُسائل حيثياته بطريقة تراعي خصوصياته، وتنصت إلى ما

يقوله الإبداع النسوي، الذي امتلك الجرأة الكافية لكي يكتب بحرية مطلقة، فالمرأة كانت إلى وقت قريب حُبلى بروايتها، وهو الأمر الذي تفتُن له النُّقاد لاحقاً، بعد أن اكتمل المولود وأطلق صرخاته في وجه عالم رجولي بحق، لطالما شخذ الرجل رجولته، وأراد له وحده لكي يشغل مركز العالم. في الوقت الذي كان فيه الرجل يُعيد بناء العالم في نصوص روائية متراكمة عبر حقبة عديدة، كان هناك إبداع نسوي بخصائص متباينة يكبر شيئاً فشيئاً، ذلك أن "الرجل في الرواية يعيد بناء العالم، أما المرأة فالرواية عندها بؤرة أحاسيس، أي أن الرجل يكتب الرواية بعقله، أما المرأة فتكتبها بقلها"¹.

هذا المُعطى المهم، أسهم في توسيع دائرة المقروئية_وبالتالي القبول_ للنصوص الروائية النسوية، ذلك أن فضول الإنصات إلى القلب لا يقل عن فضول الإنصات إلى العقل، وإذا أبحنا لأنفسنا إسقاط هذا الرأي على رواية رجالي للمليكة مقدم، قلنا إن روايتها تلك إنما هي رواية أحاسيس بالمعنى التام للكلمة، وبالتالي فإن كل تعاطف مع النص هو انتصار للكتابة ولقضيتهما الأساس، وهي دون شك تريد مزيداً من التعاطف لكي تنتصر في الأخير وتنال المكانة التي تستحق.

لو عدنا إلى الماضي، بغرض البحث فيه عن ملامح كتابية نسوية، لاصطدنا بالغياب، ومرد ذلك هو الاضطهاد والإبعاد الذي تكبدته المرأة على مدار عقود من الزمن، أين لم تحض بالمكانة الاجتماعية التي تتحرك فيها بحرية، والحال كذلك فلا مجال للبحث عن كتابات المرأة قبل ستينات القرن العشرين، وهو التاريخ الذي يفصل بين مرحلتين مهمتين هما²:

● ما قبل الكتابة النسوية.

● والكتابة النسوية.

أما الفترة الأولى (ما قبل الكتابة النسوية) فهي المرحلة التي تحركت فيها بإيعاز من الرجل حاضراً أو غائباً، تحت سقفه ووفق حدود متفق عليها مسبقاً، فرضت من طرف واحد وهو الرجل لتكريس الهيمنة، في هذه الفترة تطالعنا الخنساء في رثاء أخيها (الرجل

الغائب) والإشادة المطلقة بمناقبه ومآثره، وشهرزاد في حضرة شهریار (الرجل الحاضر) وهي تحكي قصصها لا لشيء إلا لكي تسعد الرجل وتمدد في نشوته وإمتاعه.

أما الفترة الثانية (الكتابة النسوية) فهي مرحلة الثورة على سلطة الرجل في شكلها الديني، الثقافي، الاجتماعي وغير ذلك، رغبة منها في التأسيس لمسار أنثوي مخالف، ينادي بأحقية المرأة في التعليم والانتخاب وممارسة العمل السياسي، أي الحرية في الجهر بالرأي المخالف، الذي يضع الرجل موضع المساءلة، التي قد تصل إلى الصدام إن أراد فرض السلطة التي كان يمارسها في الفترة السابقة.

إن خيار الكتابة عند المرأة مرتبط بالرفض، وهذا الرفض منطلقه هو قول "لا" في حضرة رجل يريد بسط سلطانه على أكثر من صعيد واحد، تعني هذه اللا أن الأمور استمرت إلى حد لم يعد يُطاق، وأنها كانت مقبولة إلى حد ما في الماضي القريب لكن في الوقت الحالي اختلف الأمر، وصار النطق بهذه اللا مطلباً ملحاً خارج عن السيطرة، تعني أيضاً أن المرأة تريد وضع حد يفصلها عن الرجل لكي تمارس حريتها بحرية مطلقة، وما على الرجل إلا أن يحترم هذا الحد الذي صار واقعاً ما عليه إلا أن يباركه ويثني عليه. خلاصة القول أن هذه اللا تضع اللبنة الأولى لخيار التمرد، وهو إلى ذلك يستمد شرعيته من غطرسة الرجل التي لم تعد مقبولة، تلك الشرعية هي الحافز الأول للمرأة لكي تثبت الذات³. هذا الخيار هو أول خطوة للخروج من الصمت الذي يعني السلبية، والانكفاء على الذات المبعدة والمضطهدة، تلك التي لم تباشر فعل الإدلاء والبوح بما يعذبها، ويغيبها عن قصد ليمدد في عمر الغياب والتبعية لسلطة الرجل، إلا لكي تقول للعالم حولها: ها أنا موجودة وهذا الوجود لا يتحقق إلا بسبيل الإبداع الروائي، هنا تجب الإشارة إلى أن ملامح الكتابة عند المرأة أبداً مختلفة، وهو الأمر الذي يحقق الخصوصية ويجعل من دراسة ونقد كتابات المرأة شأنًا ذا قيمة عليا، يخدم الأدب بما ينير أقصى مدى لم يكن للرجل أن يبلغه، ذلك أنه إذا أريد للأدب أن يكون إنسانياً وموضوعياً، لابد من الإنصات إلى المرأة التي تتقاسم هذا العالم مع الرجل، وهو الأمر الذي يمر أولاً عبر شرط الحرية، أي حرية المرأة في الإدلاء، بالانكفاء على منظورها الخاص في مقارنة العالم من حولها لأنها مختلفة عن الرجل فيزيولوجياً ونفسياً، هكذا إذن "تطلق المرأة الكاتبة العنان لقدرتها الإبداعية، وهي تحاور الذات والآخر، وتتواصل معهما بجمالية

خاصة تصنعها شفافيتها وصدقها، فالمرأة حين تكتب تكون في أسى حالات صدقها فتتعرى أمام ذاتها وأمام القارئ دون قناع، إنها تنتج كتابة سافرة تمزق كل الأقنعة⁴، وأدواتها في ذلك هي لغتها الرقيقة، المفعمة بالصدق وأحاسيسها الدفينة، تلك التي صقلتها التجارب الميرة في الأمس القريب.

بالعودة إلى رواية رجالي للمليكة مقدم الصادرة سنة 2005، بإمكاننا القول إن الكاتبة قد مزقت أكثر من قناع واحد، لا بل هي عدد من الأقنعة أرادت مليكة أن تظهرها للعالم، وأن تقول إن روايتها التي تكاد تكون سيرة ذاتية إنما هي مرآة صادقة ما كان منها إلا أن تعكس قبح عالمها من حولها، هو عالم لم ينته مثلما بدأ، لكن الأقنعة التي تشغله أبت إلا أن تبقى أقنعة ولو في وجود شرط الحب والانجذاب، عبر عدد من الفصول، تتوزع على خمسة عشرة فصل، نقلت لنا الكاتبة مسارا مفعما بالأحاسيس، وهي أحاسيس أرادت أن تكون صادقة إلى أبعد حد، هذا الذي نشعر به ونحن نقرأ الرواية، ذلك أن مليكة_وهو اسم الكاتبة وفي نفس الوقت اسم بطلة الرواية_ تشعر بالنقص منذ طفولتها، لذا هي تبحث عن شيء مفقود في كل الأزمنة والأمكنة التي مرت بها، في الجزائر التي ولدت فيها أين تركت الرجل الأول في حياتها وهو الأب، وفي فرنسا التي سافرت إليها واستقرت بها، هنا وهناك تعرفت على عدد من الرجال، أولئك هم رجالها الذين اقتربت منهم أول الأمر، ثم أرادت مفارقتهم لا لشيء إلا لكي تتعرف على العالم المعادي التي يشكلونه، على ظهر الوجه الخلفي لغلاف الرواية نقرأ ما يلي: *فارقت أبي لأتعلم حب الرجال الذين يشكلون عالم معادي ومجهول بالنسبة إلي، لكني مدينة إليه في نفس الوقت في معرفة الكيفية التي أبتعد فيها عنهم، حتى وإن كنت مفتونة بهم.* على ضوء هذا البوح، نجيز لأنفسنا القول إن رجال مليكة ما هم إلا نماذج منقحة عن الأب، الحاضر الغائب الذي وإن ابتعد يبقى طيفه حاضرا في لاوعي الكاتبة، وعليه فإن فهم العلاقة التي جمعتها بالأب، هي أدواتنا في هذا البحث للوصول إلى الصورة المتعددة للرجل في الرواية التي محل الدراسة.

3. صورة الرجل في الرواية:

تُشكل الصورة، سواء تعلقت بالرجل أو بالمرأة في الأعمال الروائية، مُعطى مهما للتعرف على الشخوص التي تتحرك وتتجاوز داخلها، باعتبار أنها أي الشخصية "كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية"⁵، وبالتالي فإن صورة الشخصية في تحليل الخطاب تعني تصورا ما يضطلع به المتلفظ، إذ أن كلامه يصدر عن سلوك شامل (طريقة في التحرك، في اللباس، في ربط العلاقات مع الغير) وتبعاً لذلك فإنه يكتسب مزاجاً ما، ومجموعة من الصفات النفسية المعينة (مرح، صارم، لطيف)، لذا فإن كل تباين في الخطابات والسمات لا يمس المحتوى وحده، بل يتجاوزه إلى صور الشخصيات المسؤولة عنه⁶، والتي هي في نفس الوقت "بروز متوثب على سطح الفن"⁷.

بالعودة إلى بحثنا هذا، فقد ارتأينا تتبع صورة الرجل في ثلاثة أشكال مختلفة، وهذا التقسيم فرضته الرواية، باعتبار أن كل فصل فيها يختص بصورة تقترب وتبتعد عن مثيلاتها، لكن في نهاية المطاف وجدنا أن رجال مليكة يتبعهم وفق ثلاث صور، أي أنهم لم يخرجوا عن ثلاثة أنماط وهي:

أولاً: الرجل الغائب (ممثلاً بشكل أساس في الأب)

ثانياً: الرجل العابر (وهم عدد من الأصدقاء جزائريين وفرنسيين ارتبطت بهم مليكة ثم انفصلت عنهم)

ثالثاً: الرجل المُستقر (وهو الفرنسي زوج مليكة)

1.3 الرجل الغائب:

الإحساس الطاعني في "رجالي" هو الرغبة الملحة في سرد عدد من العلاقات التي مرت بها مليكة في حياتها، وهي جملة من العلاقات المرتكزة على وجود رجل ما، له ما يربطه بالبطلة في فترة محددة، غالباً ما تكون هذه الرابطة قائمة على الانجذاب في أول الأمر، ثم النفور في اللحظة التي تختارها هي، يحدث ذلك مراراً ما عدا في علاقتها مع الأب، وهو انجذاب سرعان ما يتحول إلى رغبة في الفرار، وبالتالي إحلال القطيعة التي ما هي إلا إيذان بظهور رجل آخر، مختلف عن سابقه في كثير من الصفات والمزايا، رجل

بكر، غير مُكتشف، ميعاد جديد مع حب جديد سيكون لا محالة أكثر إغواءً وأشد إثارة، رجل من شأنه أن يبقى الأب في درج الغياب لأطول مدة ممكنة، فهي تخاطب هذا الأب الغائب بقولها: "لم أبحث عنك في رجال آخرين، أحببتهم في اختلافهم لأبقيك غائبا"⁸.

علاقة مليكة مع الحب علاقة مُربكة، فهي ترتاح لأمارات الحب الأولى، لكن بمجرد أن يستوي إحساس الألفة والجذب تفكر في الرحيل، فهي تريد بدايات الحب وليس الحب في اكتماله وفورته، أين يتحول إلى رباط سام يجمع قلبين اثنين، هي تريد حبا متحررا، وليس حبا تجد نفسها فيه مقيدة بعدد من الالتزامات مع الشريك، فالحب المكتمل عندها إنما هو سجن مكتمل، وهي لا تريد ان تسجن ثانية لذا تريد تغييب الأب أطول وقت ممكن:

"فارقتك لأتعلم الحرية حتى في عشق الرجال...عندما يغدو الحب سجنا، ويغدو مرارة وغيره ألوز بالفرار"⁹.

أول رجل نصادفه في الرواية هو الأب، من دون أن يكون له اسم على غرار بقية الرجال الذي جاؤوا بعده، لقد عاشت مليكة بعيدة جدا عن الأب في طفولتها، خاصة في اليوم الذي كسر فيها حصالتها وأخذ ما فيها من مال، كانت قد ادخرته لتشتري به دراجة هوائية، عندما تتذكر تلك الحادثة تقول له: "بعد بضعة أشهر كسرت حصالتي أثناء غيابي عن الدار، لتسلبني مدخراتي القليلة، كرهتك في ذلك اليوم ولفترة طويلة....منذ ذلك اليوم بدأت أرحل يا أبي"¹⁰. تبعا لهذه الحادثة رحلت مليكة، ابتعدت عن الأب مسافة تقاس بالحرمان والإقصاء، لذا فقد عنونت الفصل الأول من الرواية بالجملة التالية (الغياب الأول)، كان غيابا حقيقيا دون شك، لأن نبع الحنان الأول قد أجج الرغبة في الرحيل، ذلك لأنه سلب بوعي أو بدونه حلم بنت في السابعة عندما انتزع منها مدخراتها في غيابها، فابتعدت عنه وازدادت الهوة بينهما اتساعا، واستسلم الفضاء بينهما للصمت المطبق. هذا الأب (الرجل) الغائب هو الدافع الأساس الذي حمل مليكة على كتابة روايتها، في ذلك تقول: "إني أكتب ضد الصمت، أكتب لأملأ تلك الهوة بيننا بالكلمات، أرمي بالحروف مثل الشهب في تلك العتمة الدامسة"¹¹.

تحولت الكتابة الى مطلب للخلاص، كل جزء في مليكة يلح عليها لكي تكتب وتنير العتمة التي تملأ ناظرها، بسبب ما لحقها من الأب الذي رغبت في تغييبه بشتى الطرق، فهي تريده غائبا لأطول فترة ممكنة، فهو رجل يمارس رجولته التي تعني احتقار الأنثى وإبعادها بشكل مبالغ فيه، نجدها طوال الفصل الأول من الرواية تخاطبه بضمير المخاطب المفرد "أنت"، تفعل ذلك عن قصد لكي تصل رسائلها بأقصر السبل، وتفضح هذا الاب الذي كان ينادي أمها فيقول لها بناتك، عندما يتعلق الأمر بمليكة وشقيقاتها، وأبنائي عندما يتعلق الأمر بإخوتها الذكور، تعيد سرد ما كان بينهما في الماضي، مع ذكر التفاصيل التي قد يرى البعض أنها دون قيمة، منها ذلك اليوم الذي توفي فيها شقيق لها، فرأت الحزن باديا على محيا الأب، فتساءلت في سرها لو كانت هي المتوفاة، بعد ذلك تجيب نفسها بيقين قائله: "كنت على يقين أن حزنك سيكون أقل وطأة"¹².

تدل العديد من المقاطع في الرواية، والتي ذكرنا البعض منها، أن الكتابة عند مليكة هي إعادة الماضي الأسود الذي عاشته تحت سقف العائلة، بغرض التحرر منه، فهي تعيد اللحظات الفارقة في الماضي ثم تمنع فيها لتكتشف من جديد حجم المعاناة التي لحقتها من أب، تحول إلى عدو حقيقي، لذا فإن فراقها معه تم تحت سقف العائلة قبل ان ترحل وتباشر قصصها غير المكتملة مع عدد من الرجال، خيط البوح المنهمر تحول إلى وسيلة فعالة للدفاع عن النفس، وعليه فإننا نلامس في مليكة تبني صريحا لكتابة نسوية "من شأنها أن تعلن تمردا على وصية جدتها الأعرابية، التي أوصتها بالا تفضح سر الرجل، فأصبحت تفضح أسراره، وتشوه صورته، وتقبح أفعاله، وتهدم إنسانيته، لتكشف وجهه القبيح من وجهة نظرها"¹³.

2.3 الرجل العابر:

" أليس الإعجاب شكلا متساميا من الحب؟"¹⁴

بهذه العبارة تبدأ الكاتبة الفصل الذي تتحدث فيه عن الرجل الذي ألهمها مهنة الطب، وهي المهنة التي مارستها في الجزائر وفرنسا قبل أن تتفرغ للكتابة، إنه الدكتور شال، الرجل الأسمر، طويل القامة، النحيل. هو رجل متعاون مع أهل القرية، لأنه يسهر على راحة المرضى، يتنقل بمجهوده الخاص الى منازلهم ويصف لهم الأدوية، لقد كان

وحده حملة طبية تقول مليكة، هو الرجل الأول الذي يفتتح لها باب المصالحة مع الرجال، إذ أنه يكتشف في مليكة حب القراءة فيقول لها مشيرا إلى رأسها: "يجب أن تعترفي بأن ثروتك هنا" ثم يضيف:¹⁵ ما أروع أن تطالعي كل هذه الكتب"¹⁶.

فيما بعد يقترح على مليكة أن تتعاون معه في العيادة، لكي تساعد في التواصل مع الناس بالعربية، تقبل مليكة عرضه ثم تتوطد العلاقة بينهما وتتعرف على شخصيته المحبوبة بشكل أكبر، أكبر شيء يحبه إليها هي قربها من معاناة أهل القرية و التي هي معاناتها هي بشكل ما، فالدكتور شال سيقدم لها خدمة جليلة تطبع مستقبلها كله فيما بعد، ذلك انه هو الذي سيحبب إليها مهنة الطب، أول الأمر اكتشف فيها نهمها للمعرفة والاكتشاف، فعبر لها عن حجم الثقة الذي يضعه فيها، إذ بإمكانها لو أرادت أن تحقق العديد من الأشياء مستقبلا، تغرم به كإنسان يقترب من الكمال وليس كعشيق، باستطاعته ان يحول ألم الناس الى فرح غامر، يقفز قلبها فرحا بذلك للحظات فارقة، تختتم هذا الفصل بقولها: "يوما ما سأصبح طبيبة، أجل طبيبة مثله"¹⁷.

أما سعيد القبائلي فهو رجل آخر، مختلف عن شال كثيرا، لأن علاقتها معه هي علاقة حب، ينتهي لاحقا بالشكل الذي تريده مليكة، في حفلة صغيرة تتعرف به وينشأ بينهما حب يأخذ في النمو شيئا فشيئا، يتغذى من نزاهتهما المتكررة حيث التلال المشرفة على البحر ومن تناولهما للكرنند المشوي الذي لم تتذوق مثله من قبل، هو شاب من منطقة القبائل، من عائلة برجوازية، مربوع القامة وخجول. أصلح سعيد ما فسد بين مليكة وحب العيش، إذ أضحى لقاؤها به يعني لها النشوة والعدوبة، رواية يكتبها الاثنان ليقرأها الأصدقاء من حولهما، عن ذلك تقول "لا اقتلع نفسي من عناق سعيد إلا لأهرع وأرويه لأصدقائي، فأتحقق أمام أنفاسهن المتعلقة بشفتي، أنني ما عدت أحلم بل أثير الأحلام"¹⁸.

مليكة ما كانت لتزكن إلى رجل وحيد، تجد نفسها ملتصقة به كل العمر، فهي لا تبحث عن الزواج ومن ثمة تكوين أسرة وهو الأمر الذي يعني الاستقرار، بل بالعكس من ذلك، هي تبحث عن رجال كثر تتأث بهم حياتها لتصبح حياة حقيقية جديرة بأن تُعاش، ومن ثمة تُجمع بين دفتي رواية تسرد فيها معاناتها الشخصية، ليقرأها العالم

ويتعاطف معها، على العكس من سعيد الذي يفكر في الزواج والاستقرار، لكن الأمر ليس سهلاً بالنسبة له، فخلفه عائلته القبائلية التي ترفض زواجه ببنت لا تنتمي إلى المنطقة، وهو الأمر الذي يدخله في صراع معهم، يعتقد سعيد أن رفضهم هو العائق الوحيد الذي يقف بينه وبين زواجه بمليقة، يقسم لها بأنه سيفعل المستحيل لكي يرغمهم على القبول، يتم له ذلك بعد جهد طويل فيسارع إلى مليكة لكي يعلمها فتصدمه بالرد غير المنتظر، إذ ذاك تقول عن نفسها "أنا التي تراجعت، فكل الاستنتاجات وكل المخاوف التي كنت أنزعها من أفكاري أمام مشروع من أكثر المشاريع مجازفة العيش معا راحت تهش عقلي"¹⁹.

3.3 الرجل المستقر:

الانطباع الأول الذي يترك قارئ الرواية، هو أن مليكة لن تستقر عند رجل واحد، فالعمل كله يتأسس على جمع أكثر عدد من الرجال لكي يستمر السرد، وهو الأمر الذي يعني استمرار البحث عن شيء مفقود، وقد أضى البحث عن هذا المفقود وسيلة وغاية في نفس الوقت. أن تكون مليكة ذلك الشخص الذي تريده، يجب عليها أن تغادر لكي تنسى، يجب أن يكون رجالها نسخاً مكررة عن سعيد، ذلك القبائلي الذي فعل كل شيء ليتزوج بها، لكنها رفضته بعد أن رضخت لرغبته أسرته الثرية. الرجل إذن يعني الكثير للمليكة، فهي بقدر ما تريده غائبا تستدعيه دون أن تدري ليشغل حياتها إلى وقت لاحق، فهي لا تبحث عن الثبات، إنما تريد التغيير المستمر، تريد طرق عدد كبير من الأبواب لكي تفضي بها إلى حيث لا تدري، فهل ستعيش التجربة ذاتها عندما تعلق الأمر بالفرنسي جان لوي؟

(الفرنسي الذي يطهو لي) بهذا العنوان تبدأ مليكة الفصل الذي تكاشفنا فيه بالرجل المختلف عن باقي الرجال، إنه الرجل المستقر، الفرنسي الذي تقبل الزواج منه وملازمته لعقدين من الزمن. تفعل ذلك بعد أن تفكر مرارا في جدوى تلك الخطوة التي ترفضها البتة، لكن هذه المرة الأمر مختلف، فهو يتعلق بالفرنسي الذي يطهو لها باستمرار في مشهد تصفه بأنه إكزوتيكي وإيروتينيكي. حل جان لوي بجامعة وهران، أين درس سنتين متواصلتين ثم غادر إلى فرنسا، هناك تم اللقاء بينهما، بعدد عدد من

المواعيدات يتعلق الاثنان بعضهما ببعض بشكل ملحوظ، يردد هذا الرجل الفرنسي على مسامع مليكة عبارة لها مفعول السحرفتلوح التجربة الجديدة في اعين مليكة تجربة مختلفة عن سابقتها، وهو الاختلاف الذي يجعلها جديدة بأن تُعاش، يقول لها: لو فارقتيني سأنتحر، ترد على عبارته بضحك ممزوج بالبهجة ثم ينطلق الاثنان في رحلات الى بلدان الشمال، تقول مليكة "سافرنا معا بالسيارة الى سويسرا، والنمسا والساحل الأدرىاتيكي وتريستي والبندقية ومنطقة البحيرات، انتشيت عشقا وخضرة، الحب أخضر، إنه نار خضراء"²⁰.

الى غاية اللحظة، لم تكن مليكة تحظى بكامل حقوقها، وهو الأمر الذي يعني أنها لن تعيش حياتها كما تشتهي، إذ ليس لها الحق في جملة من الحقوق يأتي في مقدمتها الحق في العمل، كان رائعا ذلك اليوم الذي نطقت فيه إذاعة فرانس إنتر باريس بالنبا السار، الذي من شأنه أن يجعل من مليكة مواطنة فرنسية مكتملة الحقوق" لقد بات بوسع الأزواج الذين يعيشون معا خارج إطار الزواج، أن يجعلوا علاقتهم رسمية بمجرد تصريح مكتوب بخط اليد وموقع من رئيس البلدية حيث يقيمان، وهكذا يستطيع الشريك أن يستفيد من الضمان الاجتماعي لشريكه، وإذا كان أجنبيا يمنحه ذلك الحق في الحصول على إقامة"²¹، إن الأمر شبيهه بالحلم دون شك.

ذلك النداء الغامض، هكذا تصف مليكة خيار الزواج الذي صار أكثر إلحاحا، فهي تعيش مع الرجل الفرنسي وتتقاسم معه كل شيء خارج هذا الإطار، والحل كذلك فماذا تراه سيتغيران تزوجت به، طبعا لا شيء الا مزيدا من الحرية في التنقل والعمل، لاحقا يقرر الاثنان الزواج، في حفل صغير لا محابس فيه ولا مدعوون يتم كل شيء ذات سبت، لن يعلم اهل جان لوي الا لاحقا، أما اهل مليكة فلن يحصل معهم الا بعد ثلاثة عشر عاما، وطبعا سيفرضون هذا الزواج رفضا قاطعا.

بعد أن أرادت مليكة أن تكون زوجة لرجل، انفتح أما عينها العالم الرحب على مصراعيه، لجان لوي مركب شراعي سيقفلها فيه حيث تشاء، ممسكة بدفة القيادة ومتحكمة في الاشرعة، سوف تجوب الابحر التي لم ترمثلها من قبل، فجان لوي وُجد في هذه الحياة لكي يتنزه وإلا شعر بالملل، تقول عنه مليكة: "لقد تزوجت رجلا متنزها،

ينزهني برا وبحرا، يسبق رغباتي بالارتحال، يصحبني، أعشق أن يصحبني الرجال، أنا وجان لوي نشارك في الحركة نفسها، وذلك ما ينسج الرابط القوي للغاية بيننا"²².

4. خاتمة:

بناء على ما سبق نستخلص النتائج التالية:

- إن مليكة مقدم في روايتها رجالي، أرادت أن تكتب لكي تقول لنا إن الرجال في حياتها ليسوا مجرد ذوات عابرة، تقترب منهم وتبتعد كما تفعل ذوات نسوية أخرى، لا بل هم أكثر من ذلك بكثير، فالأب مثلا وإن غاب بعد الفصل الأول (عدد فصول الرواية 16) إلا أنه حاضر في كل الرجال الذين عرفتهم (سعيد، مصطفى، جان لوي، الدكتور شال). إن الرغبة في تغييب ذكرى الأب كرست وجوده في كل الرواية، فهي تكتب دون أن تعي لهذا الأب المتسلط، الذي سلبها طفولتها كما سلب مدخراتها وهي طفلة.

- الكتابة ليست مجرد نزوة وحي عند مليكة، إنها إعادة استرجاع الماضي اللامحكي لإعادة صوغه، وهو ماضٍ عنوانه اللامحكي، الممنوع، المقموع، المحرم. إذ لا مسوغ يبيح للمرأة العربية أن تسرد تجاربها العاطفية مع عدد من الرجال خارج الإطار الذي يقره المجتمع العربي المحافظ في جله.

- مليكة وهي تقرأ في أكثر من موضع من الرواية بأنها ملحدة، تكون قد طرقت باب الممنوع دون أن تستعين باللغة المشفرة أو الأسلوب الإيحائي الذي يتوارى خلفه المُراد، وهي بذلك تريد لكتابتها أن تكون مختلفة، لا بل متمردة عن الكتابات السابقة عنها. وعليه فإن كتابتها تصنف ضمن تيار الكتابة المتمردة، تلك التي تراهن على قول ما لم تقله الكتابة النسوية بعد.

*** **

5. الهوامش:

- ¹ جورج طرابيشي الأعمال النقدية الكاملة، ج:2، دار مدارك للنشر، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2013، ص:13.
- ² ينظر: حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والابداع، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2008، ص: 3.
- ³ ينظر: البيركامي، الانسان المتمرد، تر: نهاد رضا، عويدات، ط3، بيروت، 1983، ص:18.
- ⁴ مليكة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الكتابة النسوية في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية 2007، 2008، ص: 74.
- ⁵ جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر، ط1، القاهرة، 2003، ص: 30.
- ⁶ ينظر: مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص: 58.
- ⁷ غاستون باشلار، جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، دط، بيروت، 1984، ص: 8.
- ⁸ مليكة مقدم، رجالي، تر: نهلة بيوض، دار سيديا، ط1، الجزائر، 2007، ص: 21.
- ⁹ المصدر نفسه، ص: 20.
- ¹⁰ المصدر نفسه، ص: 15.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص: 19.
- ¹² المصدر نفسه، ص: 14.
- ¹³ حسين المناصرة، المصدر السابق، ص: 4.
- ¹⁴ مليكة مقدم، المصدر السابق، ص: 41.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص: 48.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص: 48.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص: 58.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص: 60.
- ¹⁹ المصدر نفسه، ص: 68.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص: 80.
- ²¹ المصدر نفسه، ص: 85.
- ²² المصدر نفسه، ص: 134.